الباب الثالث

ابن كثير وقريش شهاب وتفسيرهما

نحو الآيات القرآنية المستدلة على وعوع الرؤية

أ. تفسير ابن كثير في آيات الرؤية

1. قوله تعالى [وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23)][1]

قال ابن كثير [2] : { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ } من النضارة، أي حسنة بَهِيَّة مشرقة مسرورة، { إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } أي: تراه عيانا، كما رواه البخاري – رحمه الله –، في صحيحه: "إنكم سترون ربكم عَيَانا"[3]. وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح، من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها؛ لحديث أبي سعيد[4] وأبي هريرة[5] –وما في الصحيحين–: أن ناسا قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: "هل تُضَارُّون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سَحَاب؟" قالوا: لا. قال: "فإنكم تَرَون ربكم كذلك"[6].

---

[1] القيامة : 22-23

[2] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، الدار التوقيفية للتراث، القاهرة : 2006 م. ج 8، ص 279

[3] محمد بن إسماعيل البخاري، *صحيح البخاري* برقم 6998

[4] عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال : قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال (هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا). قلنا : لا. قال : (فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما) [صحيح البخاري برقم : 7001 / باب : قوله تعالى وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ]

[5] عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال أناس : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : (هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب). قالوا : لا يا رسول الله. قال : (هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب). قالوا : لا يا رسول الله قال : (فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك يجمع الله الناس فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس ...) [صحيح البخاري برقم : 620 4/ باب : الصراط جسر جهنم. وصحيح مسلم، برقم : 465 / باب معرفة طريق الرؤية]

[6] محمد بن إسماعيل البخاري، *صحيح البخاري*، رقم : 620 4. ومسلم بن الحجاج، *جامع الصحيح المسمى صحيح مسلم*، دار الأفاق الجديدة، بيروت ، برقم : 465 / باب : معرفة طريق الرؤية

قال الطبري في تفسيره، (كما نقله ابن كثير) : حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا آدم، حدثنا المبارك عن الحسن: { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ } قال: حسنة، { إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } قال تنظر إلى الخالق، وحُقّ لها أن تَنضُر وهي تنظر إلى الخالق[7].

2. قال تعالى{ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (25) لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (26) }[8]

قال { وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ } الآية: لما ذكر تعالى الدنيا وسرعة عطبها وزوالها، رغَّب في الجنة ودعا إليها، وسماها دار السلام أي: من الآفات، والنقائص والنكبات.

وفي قوله { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (26) }

يخبر تعالى أن لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح أبدله الحسنى في الدار الآخرة، كما قال تعالى: { هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ } [الرحمن : 60]

وقوله: { وَزِيَادَة } هي تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وزيادة على ذلك أيضاً يشمل ما يعطيهم الله في الجَنان من القُصُور والحُور والرضا عنهم، وما أخفاه لهم من قرة أعين، وأفضل من ذلك وأعلاه النظرُ إلى وجهه الكريم، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه، لا يستحقونها بعملهم، بل بفضله ورحمته وقد روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم، عن أبي بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس [قال

---

[7] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، الدار التوقيفية للتراث، القاهرة : 2009 م، ج 8، ص 279

[8] يونس : 25-26

البغوي وأبو موسى وعبادة بن الصامت] وسعيد ابن المسيب، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعبد الرحمن بن سابط، ومجاهد، وعكرمة، وعامر بن سعد، وعطاء، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي، ومحمد بن إسحاق، وغيرهم من السلف والخلف.

قال الطبري في تفسيره، (كما نقله ابن كثير) : حدثنا ابن عبد الرحيم حدثنا عمرو بن أبي سلمة، سمعت زهيراً عمن سمع أبا العالية، حدثنا أبيّ بن كعب: أنه سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل: { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } قال: "الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل"[9].

3. قوله تعالى [لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (35)][10]

قال ابن كثير :"{ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا } أي: مهما اختاروا وجدوا من أي أصناف الملاذ طلبوا أحضر لهم. وقوله: { وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ } كقوله تعالى: { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } [يونس: 26] : أنها النظر إلى وجه الله الكريم". وقد روى عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – في قوله عز وجل: {ولدينا مزيد} أنه قال: يظهر لهم الرب، عز وجل، في كل جمعة[11].

4. قوله تعالى [وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (143)[12]].

---

[9] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، الدار التوقيفية للتراث، القاهرة : 2009 م، ج 4، ص 262

[10] ق : 35

[11] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، الدار التوقيفية للتراث، القاهرة : 2009 م، ج 7، ص 407

[12] الأعراف : 143

يخبر الله تعالى عن موسى – عليه السلام – أنه لما جاء لميقات الله تعالى، وحصل له التكليم من الله تعالى سأل الله تعالى أن ينظر إليه فقال: { رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي }. وقد أشكل حرف "لن" هاهنا على كثير من العلماء؛ لأنها موضوعة لنفي التأبيد، فاستدل به المعتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة. وهذا أضعف الأقوال؛ لأنه قد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة، كما سنوردها عند قوله تعالى: { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23)} [القيامة:22، 23].

وقال الله تعالى إخباراً عن الكفار: { كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (15)} [المطففين:15]، وقيل: إنها لنفي التأبيد في الدنيا، جمعاً بين هذه الآية، وبين الدليل القاطع على صحة الرؤية في الدار الآخرة. وقيل: إن هذا الكلام في هذا المقام كالكلام في قوله تعالى: { لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103)} وقد تقدم ذلك في [الأنعام الآية:103] .

وقال مجاهد في قوله: { وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي } فإنه أكبر منك وأشد خلقاً، { فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ} فنظر إلى الجبل لا يتمالك، وأقبل الجبل فدك على أوله، ورأى موسى – عليه السلام – ما يصنع الجبل، فخر صعقاً. والمعروف أن "الصعق" هو الغشي هاهنا، كما فسره ابن عباس وغيره، لا كما فسره قتادة بالموت، وإن كان ذلك صحيحاً في اللغة، كقوله تعالى: { وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (68) }[الزمر:68] فإن هناك قرينة تدل

على الموت كما أن هناك قرينة تدل على الغشي، وهي قوله: { فَلَمَّا أَفَاقَ} والإفاقة إنما تكون من غشي.{ قَالَ سُبْحَانَكَ} تنزيها وتعظيما وإجلالا أن يراه أحد من الدنيا إلا مات.

وقوله: { تُبْتُ إِلَيْكَ} قال مجاهد: أن أسألك الرؤية.

وقوله تعالى { وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} قال ابن عباس ومجاهد : من بني إسرائيل. واختاره ابن جرير. وفي رواية أخرى عن ابن عباس: أنه لا يراك أحد. وكذا قال أبو العالية: قد كان قبله مؤمنون، ولكن يقول: أنا أول من آمن بك أنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة. وهذا قول حسن له اتجاه[13].

ب. تفسير قريش شهاب في آيات الرؤية

1. قوله تعالى [وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23)][14]

قريش شهاب فسر قوله تعالى { إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } بقوله : "على أنها تدل على تحديد ذلك النظر، كأنهم لا ينظرون إلّا إليه. فما من أنواع الجمال، فكأنهم لا ينظرون ذلك. وكلمة (ناظرة) كثير من علماء أهل السنة والجماعة الذين يفهمونها بأنها النظر بعين الرأس. ولوكان بعضهم يقولون بأن المراد بهذه الكلمة بالنظر المخصوص"، ثم ينقل الحديث السابق الذي نقله ايضاً ابن كثير.

ثم ذكر مذهب المعتزلة الذين يفهمون بأن معنى (ناظرة) ليس النظر. وذلك بأنهم يرون أن أعين البشر لا يستطيعون أن ينظروا إلى الله، بجانب الآيات والأحاديث التي على زعمهم تؤكد على عدم استطاعة العبد عن النظر إليه تعالى.

---

[13] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، الدار التوفيقية للتراث، القاهرة : 2009 م، ج 3، ص 473

[14] القيامة : 22-23

كقوله تعالى [لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103)[15]].

فلذلك يفهمون الكلمة (ناظرة) بالإنتظار، والإنتظار هنا على زعمهم يعني إنتظار نعم الله. إذا أردت أن تزيد معرفتك عن هذه المسألة فارجع إلى كتب الأصول (كتب الفرق والأديان). ولو أرى في معرفة تفصيلها قليلة الفائدة"[16].

2. قوله تعالى{ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (25) لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (26) }[17]

وكذا فسر قريش شهاب هذه الآية، أن المراد بدار السلام هي الجنة. بقوله :"... اعلموا أن الشياطين يدعوكم إلى الهلاك باختيالكم عن بزينة الدنيا ومتاعها، والله دائماً يدعوكم إلى دار السلام، يعني دار الأمن وهو الجنة، ويرشد من يشاء إلى طريق واسع ومستقيم وهو دين الإسلام.

يقول البقاعي عن الآيات السابقة التي حذر لنا عن أنواع الضرر، وبيّن أن حياة الفجار الذين اختارهم وهي حياتهم في هذه الدنيا الفانية التي ستهلك بعد قليل. ففي هذه الآية بيّن الله بأن دار الذي دعا الله الناس إليه هو الدار الذي خالي عن الضرر، وهو دار السلام... ".

وقوله تعالى [لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (26)]

---

[15] الأنعام : 103

[16] قريش شهاب، *تفسير المصباح*، لينتيرى هاتي، جاكرتا : 2002 م، ص : 636-637

[17] يونس : 25-26

فقال عنها قريش شهاب :"بعد أن بين الله على ترغيبه في الدخول إلى دار السلام وقبلها قد ذكر الله الذين عصوا، فهذه الآية بين الله فيها الأجر لكل منهم. يعني للذين يعملون الصالحات في الدنيا – يعني هؤلاء الذين أرشدهم الله بالدخول إلى دار السلام – بأن لهم أحسن الجزاء، وهو الجنة مع زيادة النعم التي هي أكبر من الجنة. ولا يرهق وجوههم قتر الأسود بسبب حزنهم وليس لهم من ذلة النفس، بل وجوههم يومئذ ناظرة...".

وذكر الخلاف بين العلماء عن المراد بالزيادة في هذه الآية. وأكثرهم يفسرونها بالنظر إلى وجه الله تعالى. وذلك بأن النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول : ((إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟، فيقولون : ألم تبيّض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتُنَجِّنَا من النار ؟، قال : فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل)) رواه مسلم من طريق صهيب".

وهناك من يفسرها برضى الله، وذلك بالرجوع إلى قوله تعالى [وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (72)] يعني أن رضى الله أكبر من الجنة التي صورتها الآية.

وأيضاً هناك من يفهمونها أنها زيادة الأجر الخير وضعفه. وهو يجمع هذه الآراء بقوله : "كأن الجمع بين هذه الآراء أحكم، ولأن كلها داخلة في معنى الزيادة[18]".

3. قوله تعالى [لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (35)][19]

[18] قريش شهاب، *تفسير المصباح*، لينتيرى هاتي، جاكرتا : 2002 م، ص: 63

فسّر هذه الآية بقوله :" لهم، يعني هؤلاء الذين اتقوا ربهم، بأنهم سيحصلون ما يريدون في كل وقت، ولدينا مزيد يعني من الأشياء المعجبة ولا تخطر ببالهم"[20].

4. قوله تعالى [وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (143)[21]].

قال عنها قريش شهاب "بعد أن بين الله عن وعده، فهذه الآية تبين عن بعض ما حصل حينئذ، يعني لما جاء موسى للعبادة في وقت الذي عيناه، وقال ربه المباشر إليه، يعني إلى موسى – عليه السلام –. فقال موسى بدون الذكر "يا" كما فعل هؤلاء المقربون إليه : ربي، أرني نفسك سبانه إليّ بكل احتمال الذي أعطاني بأن أنظر إليك. فقال الله : لن تراني، أي لن تستطيع أن تنظر إليّ كما طلبت...

... فلما أفاق وهو يؤمن بأنه لن يستطيع أن يراه في هذه الدنيا بأي طريق كان. فقال موسى : سبحانك، بأنه لن يتوصّل إليك أي نظر. تبت إليك، يعني لن أعد بمثل هذا الفعل وندمت من هذا الطلب...

أكد العلماء بأن اللفظ "أرني" في كلام موسى "أرني أنظر إليك"، ليس المراد به المظهر على شكل الجسم في مكان معيّن، بالنظر العين. لأن كما قلت قبل هذا، أن موسى – عليه السلام – من مخلوخات الله الذي يعرف بالله. وهو الله ليس الجسم ولا يمسه الوقت والمكان

---

[19] ق : 35

[20] قريش شهاب، *تفسير المصباح*، لينتيرى هاتي، جاكرتا : 2002 م، ص: 310

[21] الأعراف : 143

وليس كمثله شيء ولو مُخَيِّلة. فاللفظ "أرني" الذي قصد به موسى طبعاً ليس بمثل هذا المراد وأن اللفظ الذي استعلمه موسى قد تكتب في القرآن وباللغة العربية المتضمن على أكثر من معنى. فإذا قلت مثلاً : أنا رأيتك تحبه، فالمراد ذلك بأنني رأيت هيئاتك وأحوالك التي جعلني في النهاية بأنك تحبه... فهذا الرأي صحيح، لأن ممكن أن نقول بأن ما قصده موسى هو رؤية الله بعقله. فكيف وبأي مظهر كان ذلك، ففي النهاية بأن الله تعالى لا يقبل ما طلب به موسى – عليه السلام –.

هذه الآية قد جعلت بحثاً طويلاً، خاصة لدي أهل العقيدة عن إمكانية وعدم الإمكانية الناس النظر إلى الله، سواء في الدنيا أو الآخرة. فمن أراد أن يعرف اختلاف الآراء وحجة لكل من هؤلاء فليرجع إلى ذلك. أهم الشيء لا يمكن لأحد من الناس النظر إلى الله تعالى – أقل شيء في هذه الدنيا –. كما قالت عائشة – رضي الله عنها –: "من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم،...". فإذا كان الرسول الكريم لا يرى ربه، فكيف بغيره ؟؟[22].

[22] قريش شهاب، *تفسير المصباح*، لينتيرى هاتي، جاكرتا : 2002 م ، ص:237